التماسُك النصّيّ بين مفهومين "مقاربة لسانيّة"

أ.م.د. ساهر حسين ناصر
جامعة ذي قار / كلية التربية للعلوم الإنسانية

الخلاصة :

التماسك النصي من أهم الظواهر التي تتجاوز إطار الجملة المفردة ، التي اهتم بها علماء اللسانيات وهي تقوم على التصور الذي يجمع عناصر نحوية تقليدية مع عناصر مستقاة من علوم متداخلة مع النحو ، وفي هذا البحث تم التمييز بين نوعين من التماسك النصّيّ ، أولهما : تحققه وسائل نحوية ، ويظهر في المستوى السطحي للنصّ من خلال الجمل وثانيهما : تحققه وسائل دلالية ، ويظهر في المستوى العميق للنص الذي يوضح طرق التماسك بين التراكيب التي ربما لا تظهر على السطح ، فالنوع الأول له طبيعة خطية أفقية تتجلى في مستوى تتابع الكلمات والجمل المسؤولة عن تكوين سياق نصي معين يساعد على تفسير التراكيب داخل النص ، وأما الثاني فله طبيعة دلالية تجريدية تتجلى في علاقات وتصورات تعكسها الكلمات والجمل، يحتاج استخراجها ووصفها إلى قدرة معينة ومعرفة واسعة ، يقوم الأول على عوامل تعرف بالمؤشرات اللغوية، كالعطف، والوصل، والفصل، والترقيم، وأسماء الإشارة ، أما الثاني الذي يعني الوحدة، والاستمرار، والتشابك، فيقوم على قواعد وأبنية تصورية تجريدية ، إذ يتجاوز هذا التماسك الدلالي الأبنية النحوية السطحية للنصّ ، فقد نجده في الحالات التي يظهر فيها النصّ مفككاً من السطح لكنه في حقيقة الأمر متماسك في بنيته العميقة التي تعتمد في إيضاحها على بعض المفاهيم المنطقية، والدلالية .

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الأنام ، سيد الكائنات نبي الرحمة محمد بن عبد الله ، وعلى آله الذين أذهب الله عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيرا ، وعلى صحبه المنتجبين الكرام .

أما بعد :

فالبحث في اللسانيات أمر بالغ في الأهمية ؛ لأنه يتعلق باللغة المنطوقة أو المكتوبة وهي الوسيلة الأولى للتواصل الإنساني ، وتعد اللسانيات النصّية حلقة الوصل بين ما هو منطوق أو مكتوب وما هو مفهوم ، وقد أسهمت بشكل مباشر في الانتقال من بنية الجملة ومكوناتها القواعدية إلى البحث المنظّم في العلاقات بين الجمل في بنية أكبر يمثلها النصّ ، ويعد (التماسك النصّي) من المصطلحات المثيرة

للجدل في الدرس اللساني الحديث ، فقد تعددت وجهات نظر الدارسين له ، وتشعبت بحسب اختلاف مفاهيمهم ، الأمر الذي يدعو للبحث والمقاربة اللسانية ، وقد آثرت في هذه الأوراق أن أسلط الضوء على المفهوم المركزي لهذا المصطلح بعدّه الوحدة الكبرى للوصف اللغوي ، مستعرضا آراء العلماء والباحثين الغربيين الذين تناولوا هذه الفكرة (التماسك) التي تجاذبها مفهومان لا يفترقان عن بعضهما عند تحليل النصّ ، وهما : النحوية ، والمعرفية .

وقد اعتمدت في هذه المقاربة على الكتب ، والبحوث اللسانية العربية ، والانجليزية ؛ بغية الوقوف على التصور العام الذي يَقْرُبُ في جامع من المعنى لموضوعة التماسك النصي .

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذه الأوراق مما ينتفع بها ، والحمد لله ختما كما حمدته ابتداءً .

مهاد نظري :

لقد انتشر في بداية السبعينيات من القرن الماضي، وبالتحديد في غرب أوروبا تيار معرفي جديد يعنى بمقاربة النصوص الأدبية ، وغير الأدبية من وجهة نظر لسانية تتجاوز مستوى المفردة إلى النص بوصفه بنية دلالية كبرى له وظائف متعددة، هذا التيار أطلق عليه اسم :لسانيات النص ، و الذي جاء كردة فعل مخالفة للمناهج التي اقتصرت دراستها على الجملة الواحدة، فتناولتها مفردة معزولة عن سياقها باعتبارها الوحدة الكبرى القابلة للتحليل، وتوسعت في دراسة الأجزاء المكونة لها، وبذلك ركزت على الجانب الوصفي للغة، وأهملت كلا من الجانبين الدلالي ، والتداولي منها. ويبدو هذا الموقف للسانيات الجملة في أجلى صوره فيما قدمه فرديناند دوسوسور حين عرف الجملة بأنها :عبارة عن تتابع من الرموز، وأن كل رمز يسهم بشيء من معنى الكل؛ لهذا فكل رمز داخل الجملة يرتبط بما قبله وبما بعده، وأطلق على تتابع الرموز وارتباطها في داخل الجملة مصطلح (1) syntagmatique

ولسانيات النص ((نمط من أنماط التحليل ذو وسائل بحثية مركبة تمتد قدرتها الشخصية إلى مستوى ما وراء الجملة، بالإضافة إلى فحصها لعلاقة المكونات التركيبية داخل الجملة، وتشمل علاقات ما وراء الجملة مستويات ذات طابع تدريجي، يبدأ من علاقات ما بين الجمل، ثم الفقرة، ثم النص أو الخطاب بتمامه)) . (2)

وبرز بديلا نقديا لنظرية الأدب الكلاسيكية التي توارت في فكر الحداثة وما بعد الحداثة وراح هذا العلم الحديث الولادة يطور من مناهجه ومقولاته حتى غدا أهم وافد على ساحة الدراسات اللسانية المعاصرة وأصبح من الممكن الاعتماد عليه لمعالجة ، وتحليل النصوص، والخطابات من خلال جملة من الوسائل والآليات، وذلك بالتركيز على مبدأين أساسيين هما:

أولا : البحث في كيفية ترابط النص، وتماسكه من خلال أجزائه المكونة له.

ثانيا : الكشف عن الوسائل اللغوية التي تجعل من النص وحدة قائمة بذاتها ، متميزة عن غيرها، مترابطة فيما بينها.

إذن موضوعة لسانيات النص بشكل عام هو دراسة النص اللغوي دراسة وصفية تحليلية، في إطار يضمن له الترابط والتماسك، والتميز والانتظام، سواء أكان النص المدروس نصا نثريا، أم نصا شعريا.

إنّ الانتقال المعرفي من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص هو انتقال في المنهج، وأدواته ، وإجراءاته ، وأهدافه ، حيث استطاعت لسانيات النص بلوغ محطات متقدمة لم تستطع لسانيات الجملة الوصول إليها، إذ تمكنت من تحديد العلاقات التي تربط الكلمات والجمل وفقرات النصوص على مستويات عدة، فهذه التحولات في الدراسة اللغوية لم تكن مجرد تعديل بسيط في الشكل والمضمون ، وإنما حدثت في المنهج كله من خلال مقولاته المعرفية وأدواته الإجرائية ، ونتيجة لتداخل هذا العلم مع علوم لغوية كثيرة فإنه يصعب تحديد البدايات الأولى لظهوره، كونه لم يكن وليد بلد معين، أو مدرسة بعينها، أو ارتبط باتجاه محدد، ولم ينشأ في كنف عالم بذاته دون غيره، بل ظهر نتيجة تضافر جهود مجموعة من الباحثين مختلفي الاتجاهات كان هدفهم الأساس، وهمهم الوحيد هو البحث عن بديل آخر للدراسة اللسانية يتجاوز مستوى المفردة، بل الجملة الواحدة إلى النص كوحدة كبرى .

التماسك في المعجم العربي :

تذكـــر المعجمـــات العربية أن للفظة (التماسك) معنيين لغويين همـــــا : الارتباط ، والاحتباس , قال الجوهري (ت400هـ): ((أمسكتُ الشيءَ ، وتمسَّكتُ به ، واستَمسَكتُ به ، كلّه بمعنى اعتَصَمتُ به ، ... وقُرئ (ولا تُمسِكوا بعِصَمِ الكَوافِر) (3) ... وما تَمَاسَكَ أن قال ذلك ، أي ما تَمَالَكَ)) (4)

وقال الأنطاكي :((مَسَكَ بالشيء مَسْكًا : أَخَذَ به وتعلَّق واعتصم .ويُقال : تماسَكَ البناءُ : قَوِيَ واشتدَّ . والتماسُكُ : ترابطُ أجزاءِ الشيء حسيًّا أو معنويًّا. ومنه : التماسُكُ الاجتماعيّ ، وهو ترابطُ أجزاء المجتمع الواحد)) (5)

وفي النصّين السابقين يتضح المعنى الأول الارتباط بشكل جليّ ، أما المعنى الثاني (الاحتباس) فقد ذكره ابن منظور(ت711هـ) بقوله : ((تماسك ، وتمسَّكَ واستمسك ، ومَسَّكَ تَمْسِيكًا ، كلُّه بمعنى : احتبس)) (6)

ولم تذكر معجمات المعاني، أو دوائر المعارف المعنى الاصطلاحي للتماسك بحسب الاستعمال اللساني إلا انه يمكن الربط بين المعنى اللغوي للفظ والاستعمال اللساني له من خلال التقريب البسيط ، فالارتباط في النص ، يعني أن تكون الأفكارُ فيه والمعاني متعلّقًا بعضها ببعض تعلُّقًا منطقيًّا ، والاحتباس في النص ، يعني أن يكون للنص بداية ونهاية ، والرسالة محبوسة بينهما .(7)

ويمكننا أن نخرج من ذلك بتعريف شبه اصطلاحي للتماسك النصّي على انه : تعلّق عناصر النصّ بعضها ببعض ، بوساطة أدواتٍ شكلية أو علاقاتٍ دلالية ، تسهم في الربط بين عناصرِ النص الداخلية ، والنصِّ والبيئة المحيطة من ناحية أخرى ، لتكون في النهاية رسالة يتلقّاها متلقٍّ فيفهمها ويتفاعل معها .(8)

المقاربة :

إن التصوّر الكلي للنصّ لا تحدده الخواص المنفصلة للأبنية الصغرى إلا من خلال تجاورها في التحليل مع أبنية النص الكبرى إذ ترتبط كل بنية بنوع التماسك الذي تؤديه في بنية النص الداخلية أو الخارجية ، ويحتاج النص إلى التماسك الدلالي أكثر من العمليات التداولية بين الوحدات التعبيرية المتجاورة داخل النصّ ، ويتحدد على مستوى الدلالات كما يتحدد على مستوى المدلولات ،فعلماء النص أغلبهم ينطلقون من الجملة لتحليل التماسك الدلالي باعتبارها جزءا داخل كل بناء متماسك ، لان فصلها يؤدي إلى تفسير جزئي لما تحمله من دلالات قد تحقق امتدادا داخل المجموع أو تغييرا جزئيا أو كليا على وفق دلالات الجمل الأخرى ، ولهذا وضع نحو خاص بالنص ودلالته التي تتجاوز دلالة المفردات والجمل ، ذلك أن التماسك النصي لا يتحدد على مستوى علاقات الترابط بين المتتاليات والجمل فحسب ،بل يتحدد على كذلك على مستوى البنية الكبرى للنصّ باعتبارها عملا كليا يحدد معنى النصّ وسنلمح ذلك عند استعراضنا مقاربات علماء اللسانيات النصية ،والباحثين المعنيين بعلم لغة النصّ .

يرى يونج مين أن التماسك الدلالي يعني ربط الأفكار على مستوى الفكرة والتماسك النحوي ربط الأفكار على مستوى الجملة في الأساس ، إذ يشير الأول إلى الجوانب البلاغية من كتاباتنا والتي تشمل تطوير الحجة ودعما ، فعلى سبيل المثال عندما نريد كتابة أطروحة نعمد إلى توليف القراءات ودمجها وتنظيم الأفكار، وتوضيحها ، في حين يركز الثاني على الجوانب النحوية للكتابة ، وتعد خريطة المفهوم واحدة من أهم الأدوات العملية التي يمكن أن تساعد في تحسين التماسك النصّي ، وتعرف خريطة المفهوم أيضا بـ (المخطط العكسي) ؛لأننا نضع مخططا للورق بعد الانتهاء من الأفكار الرئيسة له ، حيث نكتب الفكرة الرئيسية لكل فقرة والتي تسمى بجملة الموضوع على قطعة فارغة من

الورق ، من بعد ذلك نتحقق من معرفة ما إذا كانت جمل الموضوع مرتبطة برسالة الأطروحة من الورق الخاص بنا أم متباعدة من الحجة الرئيسة ، وبتكرار هذه العملية سنصبح أكثر وعيا في كيفية تطوير الحجة بشكل متماسك فضلا عن تنظيم الأفكار بشكل فعال وهذا هو قالب خريطة المفهوم التي يمكننا استعمالها (9) .

ويرى أن التماسك الدلالي جانب مهم جدا في الكتابة الأكاديمية ؛لأنه يؤثر حتما على لهجة كتاباتنا ، فقد يقل احتمال حصولنا على درجة واطئة إذا كان التركيز على الأخطاء النحوية فقط إلا انه يزداد حتما عندما تكون لهجة الكتابة عارضة جدا ، فالكتابة المتماسكة لا تعني أن تكون الجمل صحيحة نحويا فقط، بل تعني أنها تشير إلى اتصال أفكارنا على مستوى الجملة وعلى مستوى الفكرة ، ويستعرض بعض الأمثلة التي توضح أهمية ربط أفكارنا بشكل أكثر فعالية في الكتابة كقوله : ((الفندق مشهور ، وهو واحد من أكثر الفنادق شهرة في البلاد ، وقد أقيمت أحدث مسابقة للرقص الدولي في الفندق قضى الفندق الكثير من المال للإعلان عن الحدث ؛لأن الفندق يريد كسب سمعة دولية ، ولكن لم يحضر العديد من الناس هذا الحدث)) .

إن اتصال الأفكار في المثال السابق ليست جيدة ، فلو قلنا : ((كان الفندق الذي يعد واحدا من أكثر الفنادق شهرة في هذه المنطقة ، يريد تعزيز صورته في جميع أنحاء العالم ، من خلال استضافة آخر مسابقة دولية للرقص ، وعلى الرغم من الإعلان عن هذا الحدث على نطاق واسع ، لم يشارك الكثير من الناس في المسابقة)) .

فاتصال الأفكار أفضل مما هو عليه في المثال الأول ، فلو قلنا : ((... وقد أقيمت المسابقة الدولية الأخيرة للرقص في الفندق الذي يعد من أكثر الفنادق شهرة في هذه المنطقة ، وقد قضى الفندق الكثير من المال على الإعلان عن الحدث ؛ لأنه أراد تعزيز سمعته الدولية ، ومع ذلك فانه فشل في جذب العديد من الناس)) . يكون اتصال الأفكار أفضل مما هو عليه في المثالين السابقين (10) .

ويرى وايفهوبارك من خلال التجربة التي قام بها على مجموعة من الأطفال لدراسة علاقة الفهم بالتماسك النصّي في الروايات الخيالية للأطفال ، إذ بحث فيها العلاقة بين فهم الأطفال للنص ، وقدرتهم على إنتاج قصة متماسكة ، ومدى مساعدة الإشارات الخارجية لهذه الجوانب في إنتاج السرد ، فالأطفال الذين يعانون من صعوبات في القراءة والفهم أظهروا أوجه القصور في كلا الجانبين من تنظيم القصة ، بالنسبة إلى نفس الفهم عند المهرة والأطفال الأصغر سنا من القدرة على الفهم المكافئ ، إذ كان أداؤهم ضعيفا عندما استعملوا عنوان الموضوع للحصول على السرد ، ولكن الأداء تحسن عندما أثيرت القصص بمزيد من المعلومات الشفوية والمصورة ، فالقصص ذات الهياكل الأكثر فقرا

لا تحتوي على عدد من الوصلات بشكل عام ، ولكن نوع الربط الضامّ كان مختلفا فيما يتعلق بثيمة أحداث القصة ، والأمر الذي يكشف لنا أهمية التماسك النصّي في الاستيعاب لدى الإنسان (11) .

وترى باترسيا ل. كارل أن النحويّة ليست مقياسا حقيقيا لتماسك النصّ منتقدة مفهوم التماسك عند هالداي ورقية حسن (1976) كمؤشر للتماسك النصي بقدر ما يكون الانسجام الناتج عن عملية تفاعلية بين النص والقارئ ،ويمكن تقسيم القراء على صنفين : القارئ المفترض والقارئ الحقيقي ، وغالبا ما يكون القارئ المفترض هو من محض اختراع الكاتب ولا يدلّ إلا عليه ولا يعدو أن يكون آلية معينة تساعد الكاتب على شرح النصّ ،وتفسير آلياته ،وعمله أو أن يكون هو المثال الذي نحتذيه في مقارباتنا للنصّ ، أما الصنف الثاني القارئ الحقيقي فهو الشخص الذي يشتري النص، ويقرؤه ومع هذا القارئ يصبح الإنسان الحقيقي مجالاً جديداً للإفهام بحسب اهتماماته ورغباته التي يُسقِطُها على النص أو ما يفرزه النصّ نفسه في القارئ من اهتمامات إذا كان متماسكا جدا(12) .

ويرى ريتشارد نوردكويست ضرورة توجيه القارئ لفهم قطعة من الكتاب أو الكلام من خلال التماسك النصي إذ يشير التماسك في تكوينه إلى الصلات المفيدة التي يراها القرّاء أو المستمعون في نصّ مكتوب أو شفوي إذ يتم زيادة التماسك بشكل مباشر بمقدار التوجيه الذي يقدمه الكاتب للقارئ من خلال أدلة السياق أو من خلال الاستعمال المباشر للعبارات الانتقالية لتوجيه القارئ من خلال حجّة أو سرد ، كما إن اختيار الكلمة والجملة والفقرة تؤثر على تماسك قطعة ما مكتوبة أو منطوقة ، فالكلمات والعبارات الانتقالية مثل : ((وبالتالي)) ، ((نتيجة لذلك)) ، ((لأنّ)) وما شابه ذلك في ربط إحدى الايجابيات إلى التالي إما من خلال سبب وتأثير أو ارتباط البيانات ، في حين أن العناصر الانتقالية الأخرى مثل الجمع والجمل الرابطة ، أو تكرار الكلمات الرئيسة يمكن أن توجّه القارئ إلى الفهم الصحيح إذ تمكنه من ربط الجملة الواردة إلى المعلومات في الجملة السابقة أو إلى المحتوى في الذاكرة العامة إذ لا تتواصل عن طريق الوسائل اللفظية فقط ، بل عن طريق الفهم ،والتفاعل مع النص ، ولا يتم ذلك إلا عن طريق التماسك النصي في أثناء كتابة الكاتب (13) .

ويرى رج دوايت أن النص قد يكون صحيحاً نحوياً دونَ أن يكون متماسكا بالضرورة، فالتلاحم لا يولد الترابط ، إذ يتم تحديد التماسك النحوي من خلال العلاقات المترابطة العلنية والمعنوية ،في حين أن التماسك الدلالي يقوم على العلاقات الدلالية ، بعبارة أخرى يكون التماسك النحوي بمثابة الغِراء الذي يمسك جملة إلى أخرى أو فقرة إلى فقرة أخرى في النصّ ، ويمكن للنصّ أن يكون متماسكاً نحوياً من خلال الآليات الآتية:

1. التكرار في الجملة B الثانية من أي جملتين ، تكرار كلمة من الجملة A .

2. الترادف : إذا كان التكرار المباشر واضحاً جداً استُعمل مرادفاً للكلمة التي ترغب في تكرارها .
3. التضاد وذلك باستعمال الكلمة المعاكسة للكلمة أو الجملة المعاكسة للجملة داخل النصّ لبيان المعنى المراد فهمه من الكلمة أو الجملة المستعملة .
4. التلاحم وذلك باستعمال الملتحمة أو الاقتران لربط الجمل مع علاقات منطقية معينة تتيح التحول .

أما التماسك الدلالي يعني أن النصّ يسهل فهمه ؛لأن النصّ يتبع نوعاً معيناً من الترتيب المنطقي، وتنظيم الأفكار أمر منهجي ومنطقي (14) .

ويذكر دوايت بعض أنواع الترتيب المنطقي : وهي : الترتيب الزمني ، النظام المكاني، وترتيب الأهمية ،ويذكر مثالا على ذلك أي على النصّ المتماسك دلالياً الغير متماسك نحويا بقوله (15):

((انتهى الصيف ، ذهب الصبي إلى المدرسة (المبنى) بيتر لم يحب ذلك ، أصبح جميع أعضاء الطبقة الأخرى أهدافا سهلة لبندقية ابن الشارع في 15: 8 بدأت المجزرة ، 7 أطفال لن يعودوا إلى ديارهم . آخر كلمات الجاني الأحداث : أنا أكره الاثنين ...)) .

ومثالا آخر على النص المتماسك نحوياً غير متماسك دلالياً (16) :

((قد لا تفهم تماما الأسباب الكامنة وراء الحادث ، لذلك اسمحوا لي أن أحاول أن اشرح على وجه التحديد ، قد يساعد تفهّمك أن نعرف أن بيتر لم يكن سعيدا عن البرتقال ، بعد كل شيء ، ولم يكن بيتر آخر قادراً مرة أخرى على الطيران ، بعد تفسير الفواكه المذكورة أعلاه ثم بعد أسابيع أدرك أن ذلك بسبب فاكهة بلدي ...)) .

ويلاحظ ذلك أيضا عند قراءة شيء من الصعب أن يُتّبع حيث يقفز الكاتب من فكرة إلى فكرة، فليس لديه وحدة أو نسق لربط الكلمات ،والجمل، والفقرات ، لذا يعد التماسك الدلالي بمثابة الجسر المنطقي بين الكلمات، والجمل ،والفقرات، فبين كل كلمة يوجد نسق يفهم من خلال البنية الموازية التي تستعمل التركيبات النحوية المماثلة بين الكلمات في الجمل ، فلو أردنا أن نكتب قائمة بالأشياء التي يحبها شخص ما ،فيجب أن يتخذ كل نشاط في القائمة نفس الشكل النحوي، فعلى سبيل المثال إذا كان الفعل، أو الحدث واحدا في القائمة مثل: (تشغيل) ثم الأفعال الأخرى في القائمة يجب أن تكون أيضا في شكل الأول سيكون الهيكل غير متماسك كقولنا :

سارة تحب القفز ، تشغيل ، وتزلج .

بدلا من ذلك يجب أن تكون القائمة متوازية كما يأتي :

سارة تحب القفز والجري ، والتزحلق على الجليد (17).

إن التماسك الدلالي هو في المقام الأول سمة من سمات الحُجج ، فقد نسمع الناس يتحدثون عن تماسك القصة أو القصيدة ومع ذلك في هذا السياق يعد مصطلحاً غامضاً يفضي في النهاية إلى التصوّر ، وهذا يعني أنّه حكم شخصي تماماً إذا تعلق الأمر بما هو مكتوب لقارئ حقيقي على أن هناك العديد من السمات التي تساعد على خلق شعور من التماسك ، فلو نظرنا إلى مثال موسع يتوافق معظم الناس على انه متماسك إلى حدّ ما مثل:

((بطاقات الائتمان مريحة ، ولكن خطرة ، فالناس في كثير من الأحيان يسعون للحصول عليها من أجل جعل عمليات الشراء الكبيرة تتم بسهولة دون توفير الكثير من المال مقدماً ، هذا مفيد بشكل خاصّ للمشتريات مثل السيارات ، وأدوات المطبخ ، وما إلى ذلك التي نحصل عليها دون تأخير ، ومع ذلك ، لا تأتي هذه الراحة إلا بسعر مرتفع (أسعار الفائدة) ، وكلما زادت الأموال التي وضعناها في بطاقة الائتمان الخاصة بنا زادت الفوائد من قبل البنك)) .

تبدأ الفقرة بجملة موضوعية واضحة جدا وتتبع بقية الفقرة تلك الجملة ويرتبط كل شيء في الفقرة بالبيان في البداية ، إذ يظهر مصطلح " بطاقة الائتمان " بشكل متكرر في هذه الفقرة القصيرة ،هذا يلفت نظر القارئ بأن الفقرة بأكملها حول موضوع بطاقة الائتمان ، وبالمثل فان كلمة " الراحة " والكلمات ذات الصلة بها هي أيضا متخللة في جميع أنحاء النص ، وفضلا عن ذلك يظهر المصطلح الرئيسي " خطر " في جملة الموضوع ثم يشرح بعد ذلك تماماً مع استمرار الفقرة ، هناك أيضا مصطلحات محددة بالنسبة لمعظم القرّاء وهي واضحة تماماً ، غير أن بعض القرّاء قد لا يفهمون مصطلح " أسعار الفائدة " وسيحتاجون إلى تفسير ، بالنسبة لهؤلاء فان الفقرة تبدو أقلّ تماسكاً (18) .

ويرى ستيفن ب. ويت أن النصّ هو وحدة دلالية ترتبط أجزاؤه بعلاقات صريحة متماسكة وليست عناصر خارجة تنتمي إليه إنما تساعده تلك العناصر على ربطه بسياقه الظرفي ، والتماسك فيه يعتمد على العلاقات المعجمية والنحوية التي تسمح بتسلسل الجملة على أن تكوّن خطاباً مفهوماً متصلاً بدلاً من أن يكون مستقلاً ، فلو كان داخل الجملة متماسكاً ولا يعبر حدود تلك الجملة لتكوين علاقات من أجل صناعة الفقرات المنطقية لفكرة ما يراد فهمها وإفهامها يفقد صفة التماسك الدلالي . (19)

ويرى ت.أ. فان دايك عدم كفاية نحو الجملة لوصف ظواهر تتجاوز حدود الجملة، غير أن ذلك لا يعني رفض مقولات نحو الجملة أو التقليل من قيمتها أو التشكيك في صحتها ، بل إن الأمر يتحدد في أنه قد تحتّم بعد إدخال عناصر دلالية وتداولية إلى الوصف والتحليل اللغويَّين أن يتغير الإطار الأساسي الذي يضم الجملة إذ إنّه لم يعد كافياً لاستيعاب العناصر السابقة ، وبخاصة أنه لم يعد ينظر

إليها كوحدة أساسية للوصف النحوي، بل عُدّ النصّ بأكمله وحدة أساسية ، ولاشك أن مصطلح النحو هنا ذو دلالة خاصة، فهو لا يعني مجموعة من القواعد أو القيود الصارمة التي تطبق على النصّ ، وإنما هي مجموعة من القوانين الاختيارية التي استُخلصت من النصّ ذاته ، فليست لها إذن سلطة خارجية إجبارية يتحتّم أن يخضع لها النص مهما اختلف جنسه ، وبديهي أن يُعثر على تلك الحرية في قوانين الدلالة التي تتصف بالدينامية والتغيير ، وهكذا كانت كل الاقتراحات (في شكل قيود) تتجه إلى تحديد المعنى الكلي للنص ، بمعنى أنه يهدف إلى تحديد القواعد التي تحكم بنية المعنى وبناءً عليه تتجاوز تلك الدلالة الكلية للنص مجموع المعاني الجزئية للجمل التي تكونه ؛ إذ إنها تنجم عنه بوصفه بنية كبرى أو بنية كلية أو بنية شاملة (20) .

لقد اعتمد فان دايك في تلك المحاولات على المقابلة بين مفهومي التركيب الأدنى والتركيب العلوي لوصف شكل النصّ ، والمقابلة بين مفهومي البنية الصغرى والبنية الكبرى لوصف دلالة (معنى) النصّ ، وهو يحاول بذلك دراسة النص، وتراكيبه ، وأبنيته، ووظيفته بمعايير علمية مشتركة، وتتعلق فيها التراكيب الدنيا والأبنية الصغرى بمستوى الجمل أو المتواليات الجملية ، أما التراكيب العليا والأبنية الكبرى فلا تحدد بالمستوى الأول ، بل بالنظر إلى النص ككل بوصفه وحدة كلية متماسكة ، إذ إنها تتجاوز تحديد أبنية النص النحوية والدلالية إلى تحديد التركيب الكلي لأجزاء النص ، إلى النظام العام الذي يحكم حركة النص ، وتتحكم في المستوى الأول القواعد النحوية التي توصف من خلالها الجمل ، أما الأبنية العليا – بوصفها نمطاً من الهياكل التجريدية التي تؤسس النظام الشامل للنصّ ، فتتكون من مجموعة من المقولات التي تخضع في إمكانات توافقاتها لقواعد عرفية اصطلاحية قابلة للتغيير ، وعند معالجة الأشكال النحوية تحتكم إلى معايير الحذف والإضافة والترتيب (إعادة الترتيب) وعند معالجة الأشكال الدلالية تحتكم إلى معايير الاستبدال أو الإحلال بالإضافة إلى المجاورة، والازدواج ، والمشابهة وغير ذلك (21) .

وقد وصفت محاولات فان دايك بأنها متقدمة إلى حدّ بعيد في شرح عمليات التماسك (النحوي) بين المتواليات النصية ، والتماسك (الدلالي) بين الأبنية النصية الكبرى ، ودور القراءة والتأويل (22) .

ويرى الباحثان هالياداي ورقية حسن أن نموذج التماسك النصي ينطلق من اقتراحين هما : (23)

1. التماسك يعبر عنه من خلال تنظيم طبقي للغة أو التنظيم الطبقي هو المستوى الدلالي، والمستوى المعجمي النحوي، والمستوى التعبيري الذي يشمل الأصوات ، والحروف .
2. التماسك النصي جزء من المكون النصي للنسق الدلالي ، بيد أن هناك نسقاً مغلقاً ونسقاً مفتوحاً ، فالنسق المغلق يتسم بالعلامات الآتية : (24)

أ- محدودية المكونات مثل : أ ب ج د ؛ كل مكون خارج عن هذه المكونات فهو خارج النسق.

ب. كل مكون يمتاز من الآخر ، فلا يمكن أن يتطابق " أ " مع " ب " أو " ج " أو " د " .

3. إذا أضيف مكون جديد إلى النسق فإن معاني المكونات الأخرى تتغير .

وإن ما يمثل النسق المغلق في اللغة هو النحو ، وما يمثل النسق المفتوح هو المعجم ، والنسق المفتوح يقتضي الحركة، والتبادل، والعلاقة ؛ فالنحو يتعامل مع العلائق المحددة ، والمعجم يتعامل مع العلائق المفتوحة ؛ ولربما يمكن القيام بتصنيف زوجي هو المادة والصورة : الأصوات، والحروف، والنحو ؛ والجوهر، والسياق : المعجم، والوضع (25) .

إذن ، للغة ثلاثة مستويات ، مستوى تعبيري ومستوى معجمي ومستوى دلالي ، والمستوى الدلالي يتألف من ثلاثة مكونات : تعبير عن مضمون ، وتواصل ، وتشييد نصّ متماسك ، وموقع التماسك في النسق الدلالي مهم ، لأنه يقوم بدور أساسي ولاسيما في خلق النصّ وهكذا ، فانه مفهوم دلالي يحيل على العلاقة المعنوية التي توجد في النصّ ، تلك العلائق التي تجعل النصّ نصاً متماسكاً وتكون مظاهر التماسك عندهما في خمسة أنواع كبرى ؛ وهي الإحالة، والإبدال، والإيجاز، والعطف، والتماسك المعجمي (26) .

وقد اقترح (جين سون جا) توسيعاً لهذا النموذج (نموذج هالداي حسن) في كتابه (Linguistic Cohesion in Texts ....) . سماه بـ (النموذج التماسكي النّسقي الموسع) (27) وقد افترض أن التماسك يكون في المستوى المعجمي، وفي المستوى النحوي، وفي المستوى الدلالي السميائي ؛ ويمكن تلخيصه بالمخطط الآتي : (28) .

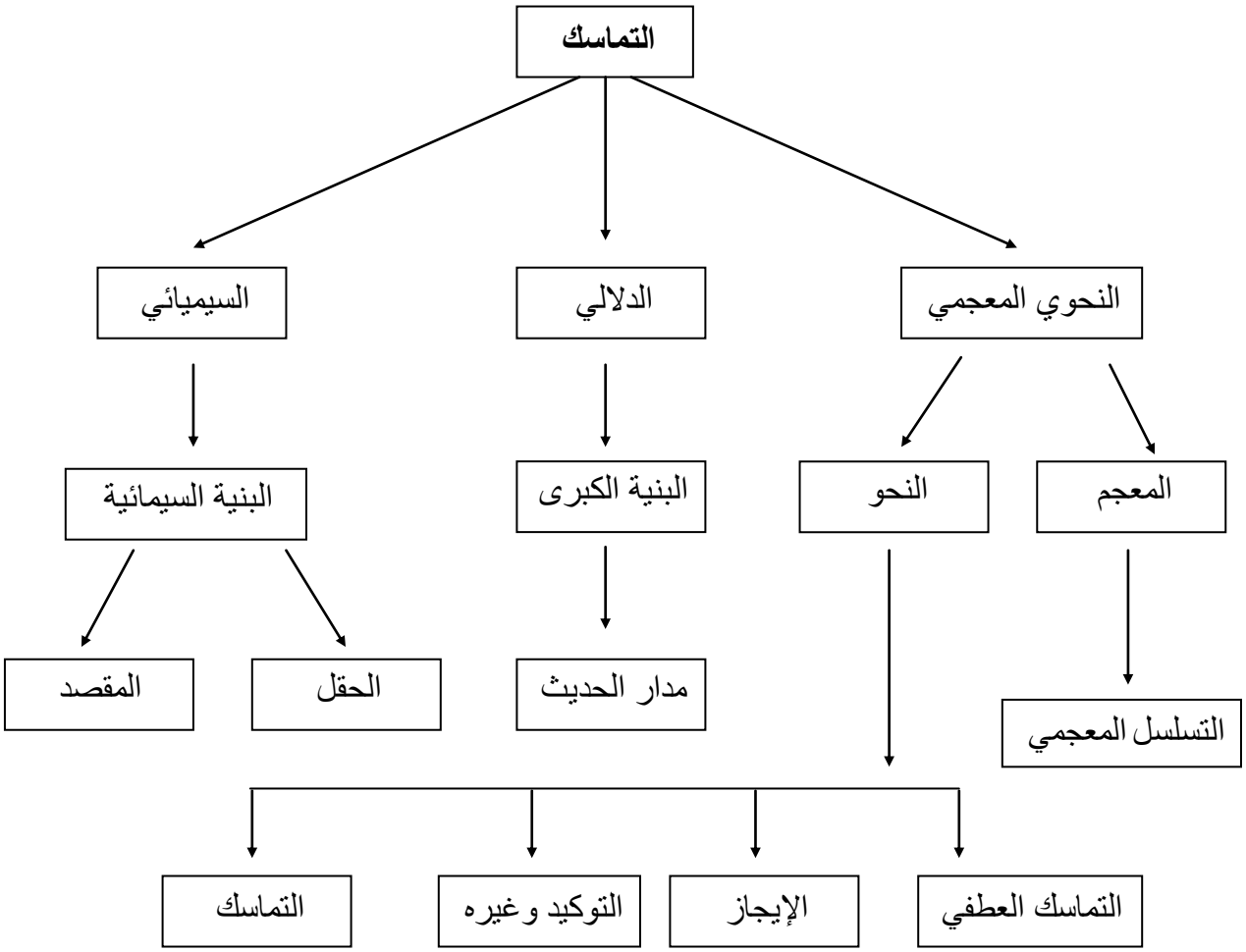
التماسك
السيميائي
الدلالي
النحوي المعجمي
البنية السيمائية
البنية الكبرى
النحو
المعجم
المقصد
الحقل
مدار الحديث
التسلسل المعجمي
التماسك
التوكيد وغيره
الإيجاز
التماسك العطفي

نستنتج مما سبق أن التماسك النصي يكون على نوعين رئيسين هما :

أولا . التماسك النحوي : أو ما يصطلح عليه بالانجليزية بـ (Cohesion) وهو مجموع العلاقات النحوية والمعجمية التي تربط الجمل فيما بينها ، أو تربط أجزاء مختلفة من الجملة الواحدة ، وبمعنى أدق يعنى بالوسائل التي تحقق الترابط على مستوى ظاهر النص (البنية السطحية) ؛ أي أنه يترتب عن إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق ، وينتظم بعضها مع البعض الآخر تبعا للمباني النحوية المختلفة في معانيها ووظائفها .

ويتحقق التماسك النحوي عبر وسائل وآليات تجعل من النص الواحد كلاً متكاملاً ، وتجمع هذه الوسائل في مصطلح عام هو (النحويّة) الذي يتجلى في الجملة الواحدة ، أو في مجموعة من الجمل ، أو في فقرة ، أو في مقطوعة ، أو في النص برمته (29) ويتكون التماسك النحوي من جزأين أساسيين هما :

المعجم : ويتم عن طريق اختيار المفردات بالإحالة (إحالة عنصر لغوي إلى عنصر آخر فيحدث الربط بين أجزاء الجملة أو بين متتالية من الجمل من خلال استمرار المعنى السابق في اللاحق بما يعطي للنصّ صفة النصّية (30) .

النحو : ويقتصر على الوسائل اللغوية المتحققة في البنية السطحية ، فتوالي الجمل يشير إلى مجموعة من الحقائق لابد من الكشف عنها ، وذلك بدراسة تلك الوسائل التي من شأنها أن تعرّف القارئ بماهيّة النصّ (31) .

ثانيا . التماسك الدلالي ، أو ما يصطلح عليه بالانجليزية بـ (Coherence) وهو معيار يختص بالاستمرارية المتحققة في باطن النصّ ، والمقصود من ذلك الاستمرارية الدلالية المجسدة في منظومة المفاهيم وما يربطها من علاقات خارج حدود الجملة (32) ، لأن النصّ " يتألف من عدد من العناصر التي تقيم فيما بينها شبكة من العلاقات الداخلية التي تعمل على إيجاد نوع من التماسك الدلالي بين تلك العناصر ، وتسهم الروابط التركيبية، والروابط الزمنية، والروابط الإحالية في تحقيقها " ، فالنصّ بهذا المفهوم ليس تتابعاً عشوائياً ولا رصفاً اعتباطيا لمجموعة من الكلمات، والعبارات فقط، وإنما هو نتاج مترابط ومتماسك ، ذو بنية مركبة ذات وحدة دلالية كلية شاملة تجسدها العلاقات النحوية التركيبية الكائنة بين جُمَلِهِ وقضاياه ، فالتماسك الدلالي هو الكيفية التي تمكن القارئ من إدراك تدفق المعنى الناتج عن تنظيم النص ، ومعها يصبح النص وحدة اتصالية متجانسة (33) .

فالتماسك الدلالي إذن يرتكز أساسا على العلاقات الدلالية الكائنة بين أجزاء النص .

الاستنتاجات :

بعد هذه المقاربة بين المفاهيم الخاصة بموضوعة التماسك النصي يمكننا استنتاج الآتي:

- تبرز أهمية التماسك النصّي في الاستيعاب لدى الإنسان .
- النحويّة ليست مقياسا حقيقيا لتماسك النصّ كمؤشر للتماسك النصي بقدر ما يكون الانسجام الناتج عن عملية تفاعلية بين النص والقارئ .
- التواصلية لا تتم عن طريق الوسائل اللفظية فقط ، بل عن طريق الفهم، والتفاعل مع النص ، ولا يتم ذلك إلا عن طريق التماسك النصي في أثناء كتابة الكاتب .
- كل نصّ لابد من أن يتبع نوعاً معيناً من الترتيب المنطقي داخل الذهن .
- التماسك الدلالي بمثابة الجسر المنطقي بين الكلمات، والجمل، والفقرات، فبين كل كلمة يوجد نسق يفهم من خلال البنية الموازية التي تستعمل التركيبات النحوية المماثلة بين الكلمات في الجمل .
- إن التماسك الدلالي هو في المقام الأول سمة من سمات الحُجج .
- النصّ هو وحدة دلالية ترتبط أجزاؤه بعلاقات صريحة متماسكة وليست عناصر خارجة تنتمي إليه إنما تساعده تلك العناصر على ربطه بسياقه الظرفي .
- عدم كفاية نحو الجملة لوصف ظواهر تتجاوز حدود الجملة لان الإطار الأساسي الذي يضم الجملة لم يعد كافياً لاستيعاب العناصر السابقة ، وبخاصة أنه لم يعد ينظر إليها كوحدة أساسية للوصف النحوي، بل عُدّ النصّ بأكمله وحدة أساسية .
- التراكيب العليا والأبنية الكبرى لا تحدد بمستوى الجمل أو المتواليات الجملية ، بل بالنظر إلى النص ككل بوصفه وحدة كلية متماسكة ، إذ إنها تتجاوز تحديد أبنية النص النحوية والدلالية إلى تحديد التركيب الكلي لأجزاء النص.
- التماسك النصي بشكل عام يكون على نوعين رئيسيين هما : **التماسك النحوي :** وهو مجموع العلاقات النحوية والمعجمية التي تربط الجمل فيما بينها ، **التماسك الدلالي** ، وهو معيار يختص بالاستمرارية المتحققة في باطن النصّ ، والمقصود من ذلك الاستمرارية الدلالية المجسدة في منظومة المفاهيم وما يربطها من علاقات خارج حدود الجملة .

الهوامش :

(1) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن البحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004 :30

(2) نحو النص ؛اتجاه جديد في الدرس اللغوي، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر،ط 56-55: 2001

(3) سورة الممتحنة : 10

(4) تاج اللغة وصحاح العربية (مسك) ج/2 : 1213

(5) الوجيز في أصول فقه اللغة : (مسك).

(6) لسان العرب (مسك).

(7) ينظر : الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني . د. أنس محمود فجال ، 54 – 57

(8) ينظر : المصدر السابق نفسه .

(9) ينظر :

Coherence and Cohesion by Young Min , Ph D , From the ESK student Handbook , uwb./wacc/for-edu/students/eslhandbook/coherence .

(10) المصدر السابق نفسه .

(11) ينظر :

Text comprehension and its relation to coherence and cohesion in children's fiotional narratives Department of psychology , University of Essex , Wivenhoe Park , Colchester Co4 35Q , UK , British Journal of Developmental psychology September 2003 , Pages 311 – 468 .

(12) ينظر :

Cohesion is not coherence Ms. Patricial . carrell is professor of linguistics at southern Illinois University at Carbondale , IESOL Quarterly Dese 1982 . volume 16 , Lssue 4 , Pages 437 – 568 .

(13) ينظر :

Coherence in composition , Guiding the Reader to understand apiece of writing or speech by Richard Nordquist , April 25 2017 . thoughtco. Com/ what is – coherence – composition .

(14) ينظر :

What are " coherence " and " cohesion " in text linguistics ? by Reg Dwight . Jan 7 , 13 , English . stadkex – cange – questions / .

(15) المصدر السابق نفسه .

(16) المصدر السابق نفسه .

(17) ينظر :

Coherence in writing definition and examples , study . com / academy / lesson / coherence .

(18) ينظر :

Coherence , Literayterms . net / coherence .

(19) ينظر :

Coherence , cohesion , and writing quality , Stephen P. Witte and lester faigley college composition and communication vol. 32 , No. 2 , Language studies composing (May , 1981) PP. 189 – 204 .

(20) ينظر : علم لغة النص ، سعيد حسن بحيري : 183 .

(21) ينظر : المصدر السابق : 184 .

(22) ينظر : المصدر السابق : 185 .

(23) ينظر :

Cohesion in English , Halliday M.A. K. and R. Hasan , London : Long man , 1976 , PP : 374 .

(24) ينظر : المصدر السابق نفسه .

(25) ينظر : المصدر السابق نفسه .

(26) ينظر : المصدر السابق نفسه .

(27) ينظر :

Linguistic Cohesion in Texts , Theory and Description , 1985 . PP : 13 – 14 .

(28) ينظر : المصدر السابق نفسه .

(29) ينظر : النص والخطاب والاجراء ، روبرت دي بوجراند : 301 .

(30) ينظر : علم لغة النص النظرية والتطبيق ، محمد عزة شبل ، مكتبة الآداب ، مصدر 1999 م : 105 .

(31) ينظر : المصدر السابق : 106 .

(32) ينظر : نحو اجرومية للنص الشعري ، سعد مصلوح : 154 .

(33) دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ، سعيد حسن بحيري : 78 .

(34) ينظر : علم لغة النص ، محمد عزة شبل : 184 .

المصادر باللغة العربية :

القرآن الكريم.

- الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني . د. أنس محمود فجال ،منشورات نادي الأحساء الأدبي،المملكة العربيّة السّعوديّة، ط.1، 14هـ/2013م،
- تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق شهاب الدين ابو عمرو دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط/1، 1998م
- دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ، سعيد حسن بحيري ، مكتبة الآداب القاهرة ، مصر ، ط/1، 2005م
- علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن البحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2003م.
- علم لغة النص النظرية والتطبيق ، المقامات اللزومية للسرقسطي ، عزة شبل محمد ، مكتبة الآداب ، مصر، دط /1999م.
- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى دار صادر ، بيروت 3003م
- نحو اجرومية للنص الشعري ،قراءة في قصيدة جاهلية ، سعد مصلوح ، مجلة فصول المجلد العاشر عدد1 ،2 ، يوليو / اغسطس 1991م.

- النص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند ، ترجمة تمام حسان ، عالم الكتب القارة ن مصر ، ط/1 ن 1998م .
- الوجيز في أصول فقه اللغة محمد الأنطاكي / الطبعة الثالثة / حلب 1969م

المصادر باللغة الانجليزية :

- Coherence and Cohesion by Young Min , Ph D , From the ESK student Handbook , uwb./wacc/for-edu/students/eslhandbook/coherence .
- Coherence , cohesion , and writing quality , Stephen P. Witte and lester faigley college composition and communication vol. 32 , No. 2 , Language studies composing (May , 1981)
- Coherence in composition , Guiding the Reader to understand apiece of writing or speech by Richard Nordquist , April 25 2017 . thoughtco. Com/ what is – coherence – composition .
- Cohesion in English , Halliday M.A. K. and R. Hasan , London : Long man , 1976.
- Cohesion is not coherence Ms. Patricial . carrell is professor of linguistics at southern Illinois University at Carbondale , IESOL Quarterly Dese 1982 .
- Coherence in writing definition and examples , study . com / academy / lesson / coherence .
- Linguistic Cohesion in Texts , Theory and Description , 1985 .
- Coherence , Literayterms . net / coherence .
- Text comprehension and its relation to coherence and cohesion in children's fiotional narratives Department of psychology , University of Essex , Wivenhoe Park , Colchester Co4 35Q , UK , British Journal of Developmental psychology September 2003.

- What are " coherence " and " cohesion " in text linguistics ? by Reg Dwight . Jan 7 , 13 , English . stadkex – cange – questions / .

The coherence between two concepts

Dr. Sahir Hussein Nasser
University of Thi Qar

Conclusions:

After this approach between concepts of textual coherence we can conclude the following:

• Highlight the importance of scriptural coherence in human comprehension.

• Grammatism is not a true measure of text coherence as an indicator of textual coherence, as much as the harmony resulting from an interactive process between text and reader.

• Communication is not done through verbal means only, but through understanding and interaction with the text, and this is done only through the coherence of the script during the writing of the writer.

• Each text must follow a certain type of logical arrangement within the mind

• Semantic coherence serves as the logical bridge between words, sentences and paragraphs. Between each word there is a pattern that is understood through the parallel structure that uses similar grammatical structures between words in sentences.

• Semantic coherence is primarily a feature of arguments.

• Text is a unit of the relationship of the parts of the relationship with explicit and coherent and not external elements belong to them, but help those elements to link to the context of the circumstantial.

• Insufficient sentence sentence to describe phenomena beyond sentence limits because the basic frame containing the sentence is no longer sufficient to accommodate the previous elements, especially since it is no longer seen as a basic unit of the grammar description, but the entire text as a basic unit.

• Upper structures and grand structures are not limited to the level of sentences or whole sequences, but rather to the whole text as a cohesive whole unit, as it transcends the structure of grammatical and semantic text to determine the overall structure of the text, to the general order governing the movement of the text.

• Textual coherence in general is based on two main types: grammatical cohesion: the sum of the grammatical and lexical relations that connect

sentences between them, or connect different parts of a single sentence and are achieved through grammatical and lexical means and semantic coherence, a criterion for continuity in the text, This is meant to be the semantic continuity embodied in the concept system and the relationships that are connected to it beyond the limits of the sentence.